الحلول المبتكرة لتحقيق التنمية المستدامة للمدن

Eng. Nadine Chahine Bitar
Founder – Place Making
Turning urban spaces into places
Email: nadine@placemakingme.com

تطبيقًا للقرار رقم 207/66 وتماشيًا مع الدورة التي تعقد كل خمس سنواتٍ (1976، و1996، و2016)، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في مؤتمر الموئل الثالث تعزيز الالتزام العالمي بالتحضر المستدام، بغية تسليط الضوء على تنفيذ "جدول أعمال التنمية المستدامة الجديد" استنادًا إلى جدول أعمال الموئل في إسطنبول في عام 1996.ويركز مؤتمر الموئل الثالث على واحد من الأهداف العالمية الجديدة للتنمية المستدامة المعلن عنها في 25 سبتمبر 2015 عندما التقى رؤساء الدول والحكومات، وكبار الممثلين في مقرات الأمم المتحدة في نيويورك؛ حيث تحتفل المنظمة بالذكرى السنوية السبعين.

أهداف التنمية المستدامة لما بعد عام 2015، تغطي17 هدفًا من أهداف التنمية المستدامة شاملة على العديد من القطاعات بدءًا من التعليم إلى الاقتصاد الأخضر، وتغير المناخ إلى التنوع البيولوجي والحد من الفقر إلى البحث العلمي.

الشكل (1) أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة - جدول أعمال 2030 (المصدر: الأمم المتحدة)

على وجه الخصوص، يهتم الهدف 11 بالمهنيين العاملين في البيئة المبنية. فهو يرمي إلى جعل المدن والمستوطنات البشرية شاملة، وآمنة، وسهلة التكيّف، ومستدامة من خلال تفعيل أهداف معينة. في هذه المقالة، يركز على أربعة من اثني عشر هدفًا مقترحًا على التحديات التي كانت تواجهنا في مدننا العربية كما يلي:

1. بحلول عام 2030، نسعى إلى تمكين الجميع من الحصول على سكن آمن وملائم وبأسعار معقولة إضافةً إلى الخدمات الأساسية وتطوير العشوائيات والأحياء الفقيرة
2. بحلول عام 2030، نسعى إلى توفير إمكانية الوصول إلى أنظمة نقل آمنة، ومعقولة التكلفة، وسهلة الوصول، ومستدامة
3. بحلول عام 2030، نخطط إلى تعزيز التحضر الشامل والمستدام
4. بحلول عام 2030، نسعى إلى توفير إمكانية حصول الجميع على مساحات خضراء وعامة آمنة، وشاملة الخدمات، وسهلة الوصول، ولاسيما للنساء، والأطفال، وكبار السن، والأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة.

ويعمل كلاً من الهدف 11 والغايات المرتبطة به على رفع وعينا إزاء واحد من أهم القواعد اللازمة لتحقيق التنمية المستدامة المنشودة ألا وهو التصميم الحضري.

تتعرض المدن - التي تعد مهد الابتكار- إلى ضغط تغير المناخ، وتأثيرات الاقتصاد المعولم، والسعي إلى زيادة قدرتها على المعيشة من أجل دعم آلاف المهاجرين.

وقد تم الخلط بين التصميم الحضري والتخطيط الحضري الذي يكون أكثر إستراتيجيةً ما أدى بدوره إلى إعطاء نظرة شاملة عن البرامج دون الإبلاغ عن النواحي المادية. كما أنه تولد من الهندسة المعمارية وتصميم المناظر الطبيعية الذان يكونان مفصلان ومحددان في نطاقهما على حد سواء إلاّ أنهما في بعض الحالات يفقدان الصلة بالإستراتيجية الحضرية.

كما يترجم التصميم الحضري النظرة الإستراتيجية للتخطيط الحضري ويبلغ عن التفاصيل الموضوعة بدقة حول الهندسة المعمارية وبالتالي يلعب دورًا محوريًا في توجيه تحول المدن وتجميع مدخلات مختلف الوكالات وأصحاب المصلحة في البيئة الحضرية بطريقة شاملة.

وهنا يتبين أن السياسات الحضرية للتنمية المستدامة تتبلور في شكل معين، وتوضع الخطط اللازمة للمجتمعات بشكل رئيسي كي تكون مجتمعات ذكيةً ومستدامةً، وينظر إلى المساحة الحضرية بوصفها مكانٍ للإبداع والابتكار، و يعاد تعريف البنية التحتية بأنها مركز للحياة الحضرية، وأنه يخطط أيضًا لتصميم المناظر الطبيعية الحضرية دون المساس باحتياجات الأجيال القادمة.

وبالتالي، يميز التصميم الحضري نفسه في الغالب على أنه مجموعة من القواعد التي تستخدم أسلوب التفكير الشمولي بغية الربط على مستويات متعددة بين السياسة الحضرية من أجل التنمية المستدامة، والمجتمعات التي تخطط بشكل رئيسي كي تكون مجتمعات ذكيةً ومستدامةً، وتصور أن المساحة الحضرية مكان الإبداع والابتكار، وإعادة تعريف البنية التحتية باعتبارها مركز للحياة الحضرية، والتخطيط لتصميم المناظر الطبيعية سهلة التكيف.

الشكل (2): الترابط المفقود في التصميم الحضري (المصدر: المؤلف-منهجية تشكيل الكتل والفراغات)

على نحو متزايد، يتم وضع التصميم العمراني ليكون قاعدة تدفع إلى الابتكارات على المستويات الحضرية. ويتضح هذا الدور المحوري جليًا بشكل كبير في التعامل مع الاستدامة على مستوى المجتمعات المحلية / الأحياء من خلال اقتراح تطورات نماذج جديدة تستخدم استراتيجيات المدن الذكية لتعزيز استدامتها.

وبشكل عام، يبرهن البحث الواسع النطاق في التصميم الحضري على العلاقة المباشرة بين الزحف العمراني، والاعتماد على السيارات، وانبعاثات الكربون. ومن أجل مناهضة التأثير السلبي لمختلف التطورات فيما يتعلق بإنشاء الطرق السريعة، والتي تتسبب في زيادة انبعاثات الهواء، اقترح بيتر كالثروب نموذجًا جديدًا للأحياء الحضرية المستدامة والتنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي والتي تنطوي على المرافق السكنية والتجارية التي تتركز حول دائرة نصف قطرها 2000 قدم وترتبط من خلال مجال عام عالي الجودة بواحدة من محطات النقل.

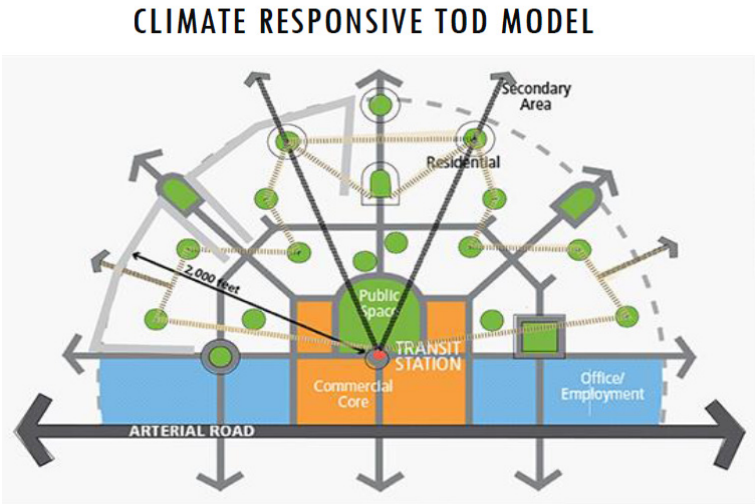

الشكل (3): نموذج التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي المتجاوب مع تغير المناخ-حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ومع ذلك، يذكر دكتور روبرت في كتابه الذي يحمل عنوان "التصميم الحضري في العالم العربي" أن التنوع الذي يواجهه الفرد عند تعريف العالم العربي بأنه منطقة تحتاج إلى إعادة تشكيل أدوات التصميم الحضري في سياق خصوصية كل من سياقاته. وهو "المنبع الذي تتولد منه مجموعة متنوعة من الفرص من أجل بلورة وتحسين، وإعادة بناء النموذج الحضري والمساحات المدنية مع إخضاع النماذج العالمية للحقائق الإقليمية والمحلية ". وبالتالي، يحتاج المرء لتأطير هذه الفرص باستخدام خمسة أبعاد عامة مقترحة وهي: الهوية، والبيئة، والبنية التحتية، والأماكن العامة، والتنمية الخاصة.

واستنادًا إلى هذا النهج، وضعت نموذجًا مبتكرًا لتنمية المجتمعات الذكية والمستدامة وبخاصةٍ في دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية. يأخذ هذا النموذج في اعتباره بالنواحي المادية لتخطيط المدن العربية، والنواحي الاجتماعية لبيئة المدن العربية ذات الثقافات المتعددة، وأيضًا النواحي البيئية للطقس الحار والرطب.

تم تقسيم النموذج تفصيلًا إلى سلسلة من أدوات التصميم الحضري من أجل ابتكار المبادئ الثلاثة للتنمية المستدامة وهي: الفعالية الاقتصادية، والتنوع الاجتماعي، والسلامة البيئية. وقد تم تطوير 15 أداةً لتوجيه المخططين الحضريين، ومسؤولي العقارات، ومسؤولي الإسكان، والمهندسين المعماريين، ومصممي المناظر الطبيعية من أجل تصميم وتنفيذ مجتمع مستدام وذكي.

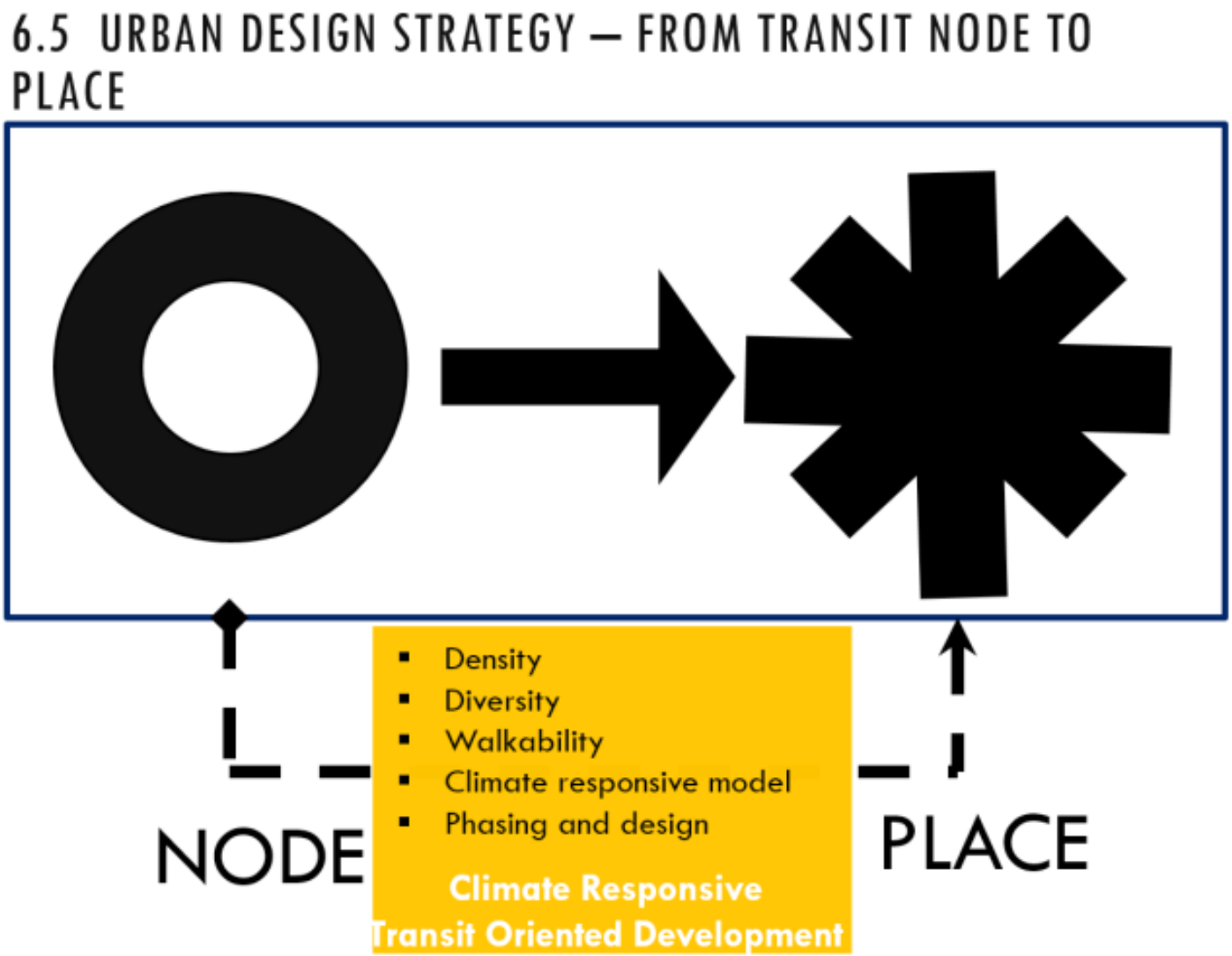

الشكل (4): كيف يمكن أن تصبح محطات النقل مركزًا وليس شبكةً؟

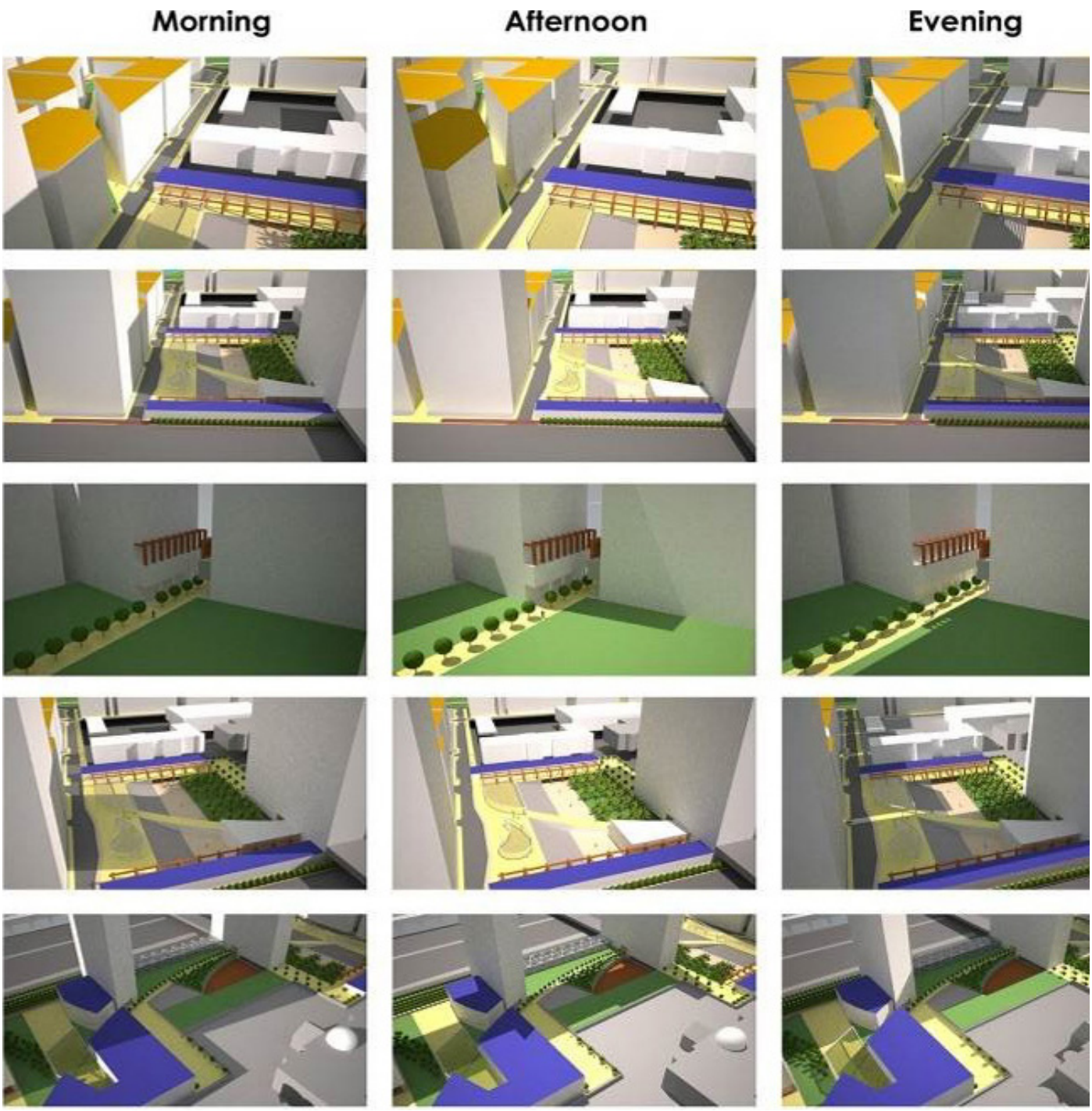

الشكل (5): تصورات مرئية تبين مثالًا على أحد الأحياء الذكية والمستدامة باستخدام نموذج التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي المتجاوب مع تغير المناخ - حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

على هذا النحو، ساعد النموذج ومجموعة الأدوات - التي تطبق من خلال ثلاثة مقاييس: على مستوى المدينة، وعلى مستوى الحي، وعلى مستوى الموقع في إمارة دبي بوصفها مدينة عربية معاصرة في توليد خطة رئيسية قامت بتنويع وتكثيف مجالات استخدام الموقع حول محطة النقل وإنشاء شبكة مقترحة موسعة من الأماكن العامة النشطة والمتجاوبة مع تغير المناخ والتي يمكن السير فيها. وكما هو مبين في الشكل 5 أعلاه، تنفذ الخطة الرئيسية المقترحة على مدار اليوم وتنطوي على مجموعة متنوعة من الاستخدامات والأماكن التي تكون في نطاق مسافة السير إلى النقل. وتتميز التنمية الناتجة بأنها فريدة من نوعها وبالتالي تجلب شعورًا بأن المكان يجمع بين الأصالة والتجاوب مع تغير المناخ.

كما يمكن إجراء اختبار على نموذج ومجموعة أدوات التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي المتجاوب مع تغير المناخ عبر المناطق الجغرافية في العالم العربي. وتوفر مدن مثل عمان، والرياض، والكويت، والقاهرة، والجزائر جميعًا الفرص لاختبار المبادئ الخاصة بالنموذج مع الأخذ بعين الاعتبار الطابع المميز لهذه المدن، وتاريخها، وثقافتها.

من الناحية المكانية، يمكن تطبيق النموذج ومجموعة الأدوات على الأطراف الحضرية، وشبة الحضرية، والحضرية المتماثلة بغية فهم المعايير المختلفة التي من المحتمل أن تؤثر على البعد الخاص بها والعناصر التي تتكون منها. على سبيل المثال، يقدم وسط المدينة الحضرية فرصًا أقل لإدخال المساحات الخضراء، ومن ثم قد تركز المناهج البيئية على التخضير الرأسي. وقد لا يكون لدى نموذج التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي المبني على الهوامش الحضرية ما يكفي من الكثافة السكانية. وبالتالي، قد تقدم سياسات التخطيط الخاصة بها للناس حوافز للعمل والعيش في نفس المنطقة. أود قبل كل شيء أن أنهي هذه الدراسة بمجموعة من التوصيات التي من شأنها أن تساعد دبي على وجه الخصوص، والمدن العربية بشكل عام، في اعتماد نموذج التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي بوصفه نموذج التنمية للحد من الزحف العمراني، وإعادة التركيز على نمو هذه المدن، ولاسيما تعزيز هويتها.

المدن والمناطق البيئية

يجب إدخال نموذج التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي في سياسة النقل الإقليمية التي من شأنها أن تشجع على تحقيق التنمية بالشراكة مع القطاع الخاص. كما يجب النظر في الحوافز من أجل جذب التنمية الخاصة؛ ويلزم النظر أيضًا في الهياكل القانونية الخاصة بالمشروعات المشتركة المحددة من أجل إقامة هذه الشراكة. يلخص هذا المقال دراسة بحثية مطبقة في التصميم الحضري باستخدام أدوات التصميم لاختبار الفرضية التي أثبتت أنها جانبًا أساسيًا في التفكير حول التنمية المستدامة للمدن.

تنمية المدن كالاستثمار في الأراضي

تحتاج خطط إطار عمل وهيكلة المدينة إلى تضمين الاستثمار الكافِي في الأراضي من أجل التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي حول محطات النقل المقترحة. ومن المحتمل أن ينظر الهيكل الحضري في ممر النقل الإقليمي الخاص بالتنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي. وقد يشمل إطار تخطيطها الحضري مبادئ توجيهية محددة خاصة بالتنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي مع مراعاة الراحة الحرارية للمناخ المحلي، والكثافات الحضرية الحالية، والأدوات المكانية المتوفرة لتقسيم المناطق والتخطيط من أجل توجيه المباني الحضرية داخل التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي والمكان العام استنادًا إلى مجموعة الأدوات.

المدن كمختبرات معيشية

قد تساعد دراسات التصميم الحضري التجريبية التي تنعكس على النماذج الحضرية البديلة من أجل التنمية الموجهة نحو دعم النقل الجماعي لتزويد الضواحي بما يلزم في استكشاف أشكال تضاريسية جديدة. ويمكن لهذه التجارب استخدام المساحات الحضرية الحالية بوصفها المختبرات المعيشية الخاصة بها والتي تعمل على استكشاف مخرجات هذه النماذج والاستدامة والمقاييس المعيشية بها. وتعتبر هذه المعايير ضرورية لقياس التقدم المحرز بشأن الهدف 11 والسعي نحو جدول أعمال عام 2030.